

الفصل الثاني

البعث والجزاء وتشكيل الضمير الديني والأخلاقي بين اليهودية والمسيحية والإسلام

كما سنرى من الفصول التالية لهذا الكتاب ؛ أن الفكر الغربي ، على نحو عام ، يقع منه فكر الإبادة البشرية موقع القلب ^١ ، حيث يقع خلف هذا الفكر غياب المطلق الديني الذي يعتبر الرادع الأساسي للإنسان للتوقف عن فعل الشر بصفة عامة .. ومنها الإبادة البشرية على وجه التخصيص .. والتي تعتبر قمة الشر الإنساني . فعادة ما نتعامل — نحن العالم الإسلامي — مع الأديان الأخرى بسداجة متناهية .. على أنها مناهج سماوية تدعو إلى مكارم الأخلاق — على نحو عام حتى ولو اعتبرنا وجود بعض الخلاف في النص الديني في شكله المباشر أو حتى في واجهة تطبيقه . فلم يتخط منظورنا — نحن المسلمين — إلى الديانات الأخرى عن منظورنا إلى الديانة الإسلامية نفسها ، وبهذا لم يتجاوز فكرنا — عن الديانات الأخرى — عن الفكر المطلق لما ينبغي أن تكون عليه الديانة بصفة عامة من حتمية وجود المثالية الأخلاقية ، خلفيتها في هذا فكر الدين الإسلامي نفسه والذي يجمله الرسول الكريم في وصفه لبعثته بقوله (ﷺ) ..

” إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ”

كما لم يتجاوز رؤيتنا — نحن العالم الإسلامي — للأنبياء عن رؤية المنهاج الإسلامي لهم .. فهم القدوة الأخلاقية للبشرية من جانب .. كما جاء في قوله تعالى للبشرية ..

^١ انظر كذلك : ” الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري ” (بند : الإبادة البشرية كناتج حتمي للمفهوم الديني الوثني والفلسفة الحديثة) ، لنفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) ﴾

(القرآن المجيد : الممتحنة {٦٠} : ٦)

كما هم الرحمة المهداة للبشرية – المختبرة – من جانب آخر .. على النحو الذي قال به المولى (عليه السلام) عن بعثته لمحمد (ﷺ) ..

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٠٧)

فلم يدر بخلد الفرد المسلم إطلاقاً مهما بلغ حجم التحريف في الأديان – على الرغم من علمه بوجوده – أن يصل هذا الحجم إلى مثل هذا الحد من الإجراء المباشر الذي يدعو الإنسان إلى إيادته أخيه الإنسان تحت دعاوى باطلة .. أو أفكار زائفة . كما لم يدر بخلد الفرد المسلم إطلاقاً أن سلوك الأنبياء من منظور الكتاب المقدس لم يتجاوز سلوك السفاحين والقتلة والزناة والخونة !!!.. ونجح الغرب – فعلاً – في إخفاء حقيقة دينه وتدينه .. وخدعَ المسلم بحسن نواياه كنتائج طبيعي من أن حركته في الحياة يحكمها رادع ديني هائل .. يتلخص في قوله تعالى ..

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) ﴾

(القرآن المجيد : النجم {٥٣} : ٣٩ - ٤١)

فالمسلم يعي تماماً بأن حركته في هذه الحياة يحكمها قانون الابتلاء أو الاختبار الشخصي .. وهو القانون القائم على اختبار قدرة الإنسان على عمل الخير .. ونهي النفس عن عمل الشر .. كما جاء في قوله " تعالى " للإنسان على نحو عام ..

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ٣٥)

[وبَلَّوْكُمْ : نختبركم / فِتْنَةً : لننظر فيما تفعلون في هذه الحياة الدنيا]

ولهذا يضع المسلم — دائما — نصب عينيه الحديث القدسي ^٢ عن المولى (عليه السلام) ..

[... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله .
ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه]

ومن هذا المنظور الديني الواضح .. تصبح مكارم الأخلاق فطرة داخلية أو ضمير ديني يحكم حركة المسلم في كل خطوة يخطوها في هذه الحياة الدنيا . كما يصبح المسلم — من هذا المنظور أيضا — ضحية لحسن نواياه وإحسانه الظن بالآخرين .. نظرا لقيمه ومبادئه التي يؤكد عليها — دائما — كل سطر من سطور كتابه العظيم .. القرآن المجيد ..

ولما كانت الإبادة التي يمارسها الغرب — على جميع مراحلها التاريخية — تترى من حولنا بصورة لا حدود لها .. وذلك بلا ضمير ديني أو ضمير أخلاقي رادع .. لذا كان يلزم علينا البحث في الديانتين اليهودية والمسيحية .. عن الأصول التي يمكن أن تلقى الضوء على هذه الدوافع الإبادة .. والتي تقع خلف تكوين الضمير الديني والأخلاقي — الفريد من نوعه — لهذا الفكر الغربي .. !!! فبديهي ؛ لا يمكن أن يوجد ما يبرر وجود مثل هذا الكم الهائل للأخلاق الذي نراه ، والذي يتسم به فكر وضمير الغرب سوى غياب المطلق الديني . كما وأن ممارسة الغرب لهذا الكم الهائل من الإبادة البشرية — بتلقائية شديدة الاعتقاد — بلا ضمير أخلاقي يذكر .. ليس له مبرر آخر .. سوى عدم وضوح رؤية الغرب لمعنى وجوده في هذه الحياة الدنيا من جانب ، وعدم وجود النص الديني الرادع له من جانب آخر .

وبديهي أهم هذه النصوص الدينية جميعا .. والتي يمكن أن تشكل هذا الضمير الأخلاقي في الإنسان هو مفهوم " البعث والجزاء " .. وهو الفكر الذي يشكل — أيضا — محور أي عقيدة دينية مهما كانت بدائيتها . فوضوح هذا المعنى جيدا في الفكر الإسلامي جعل من الفرد المسلم يتعامل بطريقة نمطية مع كل أحداث الحياة .. واضعا نصب عينيه المطلق الديني .. والضمير الأخلاقي الذي يستدق معه حساب النفس إلى أدق الأمور .. حتى إلى حد حساب النفس على النظرة المجردة التي لا تتسم بحسن النوايا تجاه الآخرين .. فما بال الحال مع فكر القتل .. والإبادة .. !!! بينما غياب هذا المعنى العام أو عدم وضوح رؤيته — على الأقل — في

^٢ عن أبي ذر الغفاري عن النبي (ﷺ) ، رواه مسلم . " جامع الأحاديث القدسية " ، المجلد الأول : دار الريان للتراث . ص : ٤٦٣ .

الديانتين اليهودية والمسيحية هو الذي أدى إلى مثل هذه الكارثة اللاأخلاقية التي انتسخت إليها البشرية .. والتي نعاني منها جميعا الآن !!!..

ويهدف هذا الفصل بشكل مباشر إلى إلقاء الضوء على وجود فكر " البعث والجزاء " في الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام .. وبيان أن هذا الفكر غير واضح المعالم في الديانتين اليهودية والمسيحية بدرجة تجعل من تشكيل أي ضمير ديني .. أو حتى أخلاقي معقول .. أمرا مستحيلا . بل سوف نرى أن الديانة اليهودية — على وجه الخصوص — تكاد تكون خالية خلوا كاملا من هذه المعاني .. وهنا يصبح الرادع الديني في تشكيل ضمير الفرد اليهودي غير موجود أصلا لردعه عن ارتكاب أبشع الموبقات .. وأشد المجازر هولا .. بدون الشعور بذنب ما .. يجعله يعيد النظر فيما يقدم عليه من أفعال . فإذا أضفنا إلى هذا المنظور ، منظور آخر — أئد بشاعة مما سبق — وهو أن الإبادة هي رغبة أو إرادة إلهية متأصلة .. أو .. هي توصية إلهية إلى شعبه المختار (الشعب اليهودي) .. فلنا أن نتخيل ماذا يمكن أن يسفر عنه هذا الفكو عند تحديد الهوية اليهودية لنفسها .. وعند تحديد علاقاتها بالبشرية على نحو عام !!!..

فإذا انتقلنا إلى الديانة المسيحية — والمعروف أن الجزء الأول منها هو النص الكتابي للديانة اليهودية ^٣ — فإننا سوف نجد أن مثل هذا الفكر على الرغم من تغيره بدرجة واضحة .. إلا أنه غير كاف لتشكيل ضمير ديني معقول أيضا .. نظرا لتغير مفهوم الجزاء والعقاب من جانب .. ووجود مشاكل في مكان الأبرار في الفردوس الإلهي الأخير من جانب آخر !!!.. فسوف نجد أن مصير الأبرار في الديانة المسيحية مبهم إلى درجة عالية من الغموض على الرغم من المحاولات المبذولة والمستميتة ، من جانب رجال الدين ، ليجدوا لهم مكانا معقولا في هذا الفردوس الإلهي المتوقع !!!.. ودعنا نبدأ أحداث هذا الفصل ..

فمن الأمور المتفق عليها أن فكرة خلود الإنسان — أصل الشرائع — مرتبطة ارتباطا مباشرا ببعث الإنسان وحسابه ثم جزاءه على ما قدمت يداه .. إن خيرا فخير وإن شرا فشر . ففكرة " البعث والجزاء " .. هي فكرة قديمة بقدم الإنسان نفسه ، فهي توجد في أفراد الأديان البدائية .. كما توجد — أيضا — في فكر الفرد اليهودي والمسيحي ، على الرغم من وجودها بشكل شاحب في نصوص الكتاب المقدس ذاته كما سنرى ، وهو ما يؤكد على فطرية هذا الفكر في النفس البشرية التي خُلِقَ عليها الإنسان . وفي الواقع ؛ أن الحضارات الأولى للإنسان قد تمحورت حول هذا الفكر ، وربما كانت الحضارة المصرية القديمة خير مثال دال على هذا ..

^٣ أنظر الملحق الثاني من هذا الكتاب .

حيث دارت هذه الحضارة كلها في فلك مفهوم البعث والجزاء . ومن أكبر الأدلة على ذلك وجود هذا الكم الهائل من الوثائق والصور المصرية القديمة (ومنها الأهرامات) التي تبين مثل هذا الفكر بوضوح لا لبس فيه . وقد سبق وأن بينا في الفصل الأول من هذا الكتاب .. أن مثل هذا الاتفاق الإنساني على فكرة ما .. يعتبر " ظاهرة إنسانية " لها نفس معنى " الظاهرة الطبيعية " ، والتي تمتد جذورها إلى داخل النفس أو الفطرة البشرية . فخصوع الحشود البشوية لفكر عام واحد .. يمكن أن يدرج هذا الفكر تحت مفهوم القوانين الإحصائية على الأقل ، والتي تخضع للتوزيع العادي (Normal Distribution) المعروف عنها . ولهذا يمكن أن يُدرج هذا الفكر — البعث والجزاء — تحت ما يمكن أن يسمى بـ " قانون البعث والجزاء الفطري " ، وهو قانون يمكن أن يضاف إلى القوانين الفطرية الأخرى التي خلق عليها الإنسان . وبديهي ؛ إلى جانب وجود القانون الخاص بهذا الفكر ودلالاته المستقلة عن الديانة ذاتها ، إلا أن برهانها يمكن أن يدرج ضمن أو يأتي تحت برهان الديانة نفسها . بمعنى أن البرهان على صحة الديانة ذاتها يمكن أن يصبح برهاناً ضمناً على صحة هذا القانون طالما وأن الديانة تحويه في داخل مضامينها الذاتية . والآن ؛ دعنا نقرب بقدر كاف لرؤية هذا الفكر في الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام .. ومدى تأثير هذا الفكر على تشكيل الضمير الديني .. والأخلاقي لدى الفرد في كل ديانة على حدة .

١ . البعث والجزاء في الديانة اليهودية (العهد القديم من الكتاب المقدس)

بديهي ؛ لكي ندرس أي فكر لابد لنا أولاً من دراسة الكلمات الحاكمة وتعريفها في هذا الفكر حتى يمكننا فهم وتكوين معنى معقول عنه (أي عن هذا الفكر) . ومن هذا المنظور ؛ فلننظر في فكر " البعث والجزاء " في الديانات المختلفة .. كان يلزم علينا — بادئ ذي بدء — أن نبحث عن معاني الكلمات والألفاظ الحاكمة التي يمكن أن يتمحور حولها هذا الفكر . وبديهي من هذه الألفاظ أو الكلمات لابد أن تأتي — في المقدمة — الكلمات التالية : " البعث " .. " يوم الحساب " .. " يوم الدينونة " .. " الجنة " .. " النار " .. إلى آخره من هذه الأسماء الضرورية التي لا يمكن وصف هذا الفكر بدون اللجوء إلى فهم معانيها كما جاءت بها الديانات المختلفة . وكما هو معروف ؛ فإن العهد القديم من الكتاب المقدس يشمل : التوراة (أسفار الشريعة أو أسفار موسى الخمسة الأولى) .. والأسفار التاريخية ، والأسفار الشعرية ، وأسفار الأنبياء ٤ ، وهي تمثل في مجموعها النص الكتابي المعتمد لدى الديانة اليهودية . وبمحاولة تتبع أثر معاني

٤ أنظر الملحق الثاني من هذا الكتاب .

هذه الكلمات السابقة في العهد القديم من الكتاب المقدس ، فسوف نجد إن هذا العهد يكاد يكسون خالياً خلوا تماماً بل وكاملاً من هذه المعاني ..

فكلمة "بعث" لا يأتي ذكرها على الإطلاق في العهد القديم من الكتاب المقدس * . أما كلمة "اليوم الآخر" فيأتي ذكرها في الكتاب المقدس (العهد القديم) في موقع واحد فقط في سياق شكوى – تقدمت بها إحدى النساء – إلى ملك إسرائيل ..

[٢٨) ثم قال لها الملك مالك . فقالت إن هذه المرأة قد قالت لي هاتي ابنك فناكله اليوم ثم نأكل ابني غدا (٢٩) فسلقنا ابني وأكلناه ثم قلت لها في اليوم الآخر هاتي ابنك فناكله فخبأت ابنها]

(الكتاب المقدس : الملوك الثاني { ٦ } : ٢٨ - ٢٩)

وبديهي هذا السياق المقدس اللامعقول .. هو أبعد ما يمكن عن معنى ومفهوم اليوم الآخر والبعث والجزاء .. الذي يمكن أن يأتي به الدين !!!..

فإذا جئنا إلى عبارة "يوم الدينونة" أو "يوم الحساب" .. فنجد أنه لم يرد ذكرهما على الإطلاق في العهد القديم من الكتاب المقدس !!!.. أما كلمة "الجنة" فقد ورد ذكرها "تسع" مرات فقط ، وارتبطت فقط بمعنى الجنة الأرضية التي وضع فيها الله "آدم" بعد أن خلقه .. ولم ترتبط بجنة البعث والجزاء . ومن هذا السياق السابق ، جاءت "الجنة" في ثلاثة مواقع ، منها .. عندما سمع آدم وحواء الإله وهو يتمشى في الجنة فاخترتاً منه لعريهما ^٦ ..

[(٨) وسمعا (آدم وحواء) الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار . فاخترتاً آدم وامراته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة (٩) فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت (١٠) فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاخترتاً (١١) من أعلمك أنك عريان

^٥ تم استخدام النسخة الإلكترونية للكتاب المقدس (Arabic Holy Bible with KJV, 1998 Edition, Multimedia CD-ROM) للدكتور ماجد نبيه كامل .. وكذا " فهرس الكتاب المقدس " للدكتور جورج بوست .. في هذا البحث الإحصائي .

^٦ بديهي استعراض مثل هذه النصوص يخدم الغرض الأساسي الذي تناقشه هنا .. ألا وهو غياب فكر البعث والجزاء في الفكر اليهودي والمسيحي ، إلا أن هذا العرض يعطي – أيضا – للقارئ المدقق فكرة لا بأس بها عن الوثنيات الفكرية والنصوص الخرافية الواردة في الكتاب المقدس نفسه ، حيث أترك هذه المعاني بلا تعليق .. نظرا لوضوحها بدرجة كافية .

. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها (١٢) فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت]

(الكتاب المقدس : تكوين {٣} : ٨ - ١٢)

وهكذا لم ترد " الجنة " بمعنى جنة البعث والجزاء .. إنما وردت بمعنى الجنة التي وضع فيها الخالق آدم بعد خلقه . وفي نصوص أخرى لم يتجاوز معنى " الجنة " عما تنبته الأرض من فواكه ومحاصيل .. أي الجنة الأرضية .. كما جاءت في آخر نص لها في العهد القديم من الكتاب المقدس ..

[(١١) لأنه كما أن الأرض تخرج نباتها وكما أن الجنة تنبت مزروعاتها هكذا السيد السرب ينبت برا وتسبيحا أمام كل الأمم]

(الكتاب المقدس : إشعياء {٦١} : ١١)

وقد كان لخلو التوراة^٧ — على وجه الخصوص — من الحديث عن البعث والجزاء أمرا مستغربا ، وجعلها مثارا للطعن فيها والجدل حولها . ومن أمثلة الاعتراضات التي أثارت حول خلو التوراة من البعث والجزاء ، ما ورد في كتاب " تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث " لابن كمونة (سعيد ابن منصور) اليهودي ، ونذكر منها الاعتراض التالي .. والرد عليه^٨ :

" إن هذه التوراة لم نجد فيها تصريحاً بالثواب والعقاب الأخرويين ، وذلك من أهم ما ينبغي ذكره ، وهو الأصل الأعظم في التشريع . فلو كانت التوراة التي بأيدي اليهود منزلة من عند الله تعالى لما جاز خلوها من التصريح بذلك .. "

ويبرر " ابن كمونة اليهودي " سبب خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء هو معرفة بني إسرائيل بهذه العقيدة ، ولذلك فهو أمر لا يحتاج إلى تكرار . ويضيف ابن كمونة : " إن خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء جعل كثيرا من الباحثين يذهبون إلى أن اليهود لا يعتقدون بالبعث والثواب والعقاب في الآخرة ، وهذا يغاير الواقع الذي يصرح به اليهود .

^٧ التوراة : هي الخمسة أسفار الأولى من الكتاب المقدس (أنظر الملحق الثاني من هذا الكتاب) .
^٨ " اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام " ، د. فرج الله عبد الباري أبو عطا الله ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع . ص : ١٤٠ .

ثم يحاول (بعض) أئمة المسيحية البحث عن فكرة البعث والجزاء في العهد القديم من الكتاب المقدس — بديهي — لأنه جزئية أساسية ومتممة لمعقيدتهم .. فلا يجدوا سوى نصوص باهتة .. وتكاد تكون معدومة المعنى . ويذكر لنا الأنبا يوانس ^٩ النص المقدس التالي ..

[(١٩) تحيا أمواتك تقوم الجثث . استيقظوا ترنموا يا سكان التراب . لأن تلك ظل أعشاب والأرض تسقط الأخيلة]

(الكتاب المقدس : إشعياء {٢٦} : ١٩)

وهو نص مختلف على تفسيره ، فبالرجوع إلى السنن القويمية في تفسير العهد القديم نجد أن هذا النص لا يشير إلى القيامة في الآخرة ، ولكنه يشير إلى بعث اليهود بعد السبي ، أي عودتهم إلى أرض فلسطين المغتصبة مرة أخرى . فبديهي ؛ تخصيص قيامة الأموات إلى شعب بعينه [تحيا أمواتك ..] لا يعني يوم القيامة .. لأن يوم القيامة يشمل قيامة كل البشر .. حيث لا تخصيصية فيه لشعب بعينه ^{١٠} . ويعترف أئمة الديانة — صراحة — بأن النصوص عن قيامة الأموات في العهد القديم هي نصوص غير مباشرة . ولهذا يقول " قاموس الكتاب المقدس " تحت عنوان " القيامة في العهد القديم " ^{١١} ..

" يظهر من الإيمان والإثابة والجزاء الوارد في أيوب (١٩ : ٢٥ - ٢٧) بأن القيامة مفهومة ضمنا ، وكذلك تذكر القيامة ضمنا في المواضع التي يعبر فيها عن رجاء الحياة الآتية مع الله وفي حضرته في المزامير (مثلا : ١٦ : ٩ - ١١ ..) . ويحدثنا إشعياء (٢٦ : ١٩ ..) عن قيامة المؤمنين ، وكذلك يعلم دانيال (١٢ : ٢) عن قيامة البعض للحياة الأبدية ، وقيامة آخرين للعار والازدراء الأبدية ، ويصف حزقيال (في إصحاح ٣٧) نوعا من القيامة يرمز إلى نهوض شعب الله " .

^٩ - السماء / ص : ١٣٣ . لمثلث الرحمة نيافة الأنبا يوانس . الطبعة الخامسة . مطبعة الأنبا رويس .

^{١٠} يؤكد على هذا المعنى أيضا الترجمة الحديثة للكتاب المقدس .. حيث يأتي هذا النص على النحو التالي : [(١٨) .. لم يُخلَص الأرض ولم يولد من يقيم فيها فتصير أهلة عامرة (١٩) ولكن أمواتك يحيون ، وتقوم أجسادهم . فيا سكان التراب استيقظوا واشدوا بلرح لأن تلك هو ندى متلائم ، جعلته يهطل على أرض الأشباح] (إشعياء ٢٦ : ١٨ - ١٩) . (انظر كذلك الفصل السابع من هذا الكتاب لرؤية المزيد من هذه المعاني) .

^{١١} " قاموس الكتاب المقدس " ، ص : ٧٤٨ - ٧٤٩ . دار الثقافة . الطبعة الثانية عشرة . أنظر أيضا : " اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام " ، د. فرج الله عبد الباري أبوعطا الله . دار الوقاء . ص : ١٤٧ - ١٤٨ .

وهكذا نجد جميع ما ورد ذكره عن قيامة الأموات يأتي ضمنيا وليس بنصوص مباشرة ، كما يعترف بهذا قاموس الكتاب المقدس . وحتى فكرة البعث والجزاء التي وردت في سفر دانيال .. التي يشير إليها " قاموس الكتاب المقدس " نجدها تقول :

[(٢) وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية هؤلاء إلى العار للأزدرء الأبدى] ١٢

(الكتاب المقدس : دانيال { ١٢ } : ٢)

وحتى عند إحسان الظن بهذا النص ، فهو لا يقول ببعث كل الناس .. لقوله [وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون ..] .. أي أن كثيرين فقط هم الذين سيبعثون !!!.. كما لا يشير النص إلى أي أسس — أخلاقية مثلا — يمكن أن تحدد من هم الذين سيبعثون .. إلى الحياة الأبدية .. ومن هم إلى الأزدرء الأبدى !!!.. كما لا يبين هذا النص وجود أي ارتباط بين الحياة الأبدية وبين الخلاص الإنساني بمعنى السعادة الأبدية !!!..

وعموما فهذا كل ما ورد ذكره عن " البعث والجزاء " ١٣ في العهد القديم (الديانة اليهودية) !!!.. وهي ، كما نرى ، نصوص غير كافية تماما لشرح هذه المعاني . وفي أحسن الأحوال ؛ حتى إذا مثلت الاعتراف الضمني بقيامة الإنسان من بعد موته فلا يوجد في هذه المعاني ما يشير من قريب أو بعيد لأسس الحساب أو الجزاء التي تصاحب هذه القيامة !!!.. وهنا يمكن أن نصل إلى أن تشكيل الضمير الأخلاقي لدى الفرد اليهودي يمكن أن يتشكل بعيدا عن معنى البعث والجزاء تماما .

١٢ هذا النص موجه أساسا إلى الشعب اليهودي .. وليس إلى كل شعوب الأرض أو إلى الشعب المسيحي ، فلم يظهر السيد المسيح برسائلته إلا بعد ظهور النبي دانيال — صاحب هذا السفر — إلا بحوالي ستة قرون . ويظهر هذا التوجه جليا في سياق استكمال هذا النص : [(٣) ويضيء الحكماء (أي شعب الله) كضياء الجلد ، وكذلك الذين ردوا كثيرين إلى البر يشعون كالنوكب إلى مدى الدهر (٤) أما أنت يا دانيال فأكتب الكلام ، واختم على الكتاب إلى ميعاد النهاية . وكثيرون يطوفون في الأرض وتزداد المعرفة] (الكتاب المقدس — كتاب الحياة : دانيال { ١٢ } : ٣ - ٤) .

١٣ يذكر نياقة الأنبا يوانس — في كتابه " السماء " ص : ١٣٣ — نص ثالث فقط (غير النصين السابق ذكرهما عاليه) مأخوذ من " سفر المكابيين الثاني " وهو ليس من أسفار الكتاب المقدس . بل هو من " الأسفار القانونية الثانية " التي تعرف باسم " الأبوكريفا " (أو الأسفار المكذوبة) والتي لا تعترف بها باقي الكنائس الأخرى سوى الكنيسة الأرثوذكسية !!!..

والآن إذا كان العهد القديم يمثل أساس العقيدة اليهودية .. وهو لا يحوي أي معنى يعول عليه لشرح فكرة " البعث والجزاء " .. فلا يبقى لديهم سوى بعض الأفكار المضطربة المستخرجة من التلمود (الشريعة الشفهية) .. ليس لها ما يساندها من نصوص مكتوبة في التوراة تتعلق بمستقبلهم عند الله بعد الموت .. ولهذا يقول : "ول ديورانت" في قصة الحضارة عن غياب هذا الفكر في العقيدة اليهودية :

" ولم تبين فكرة البعث في خلود اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض ، ولعلمهم أخذوا الفكرة عن الفرس ، أو لعلهم أخذوا شيئا منها عن المصريين القدماء ، ومن هذه الخاتمة الروحية ولدت المسيحية " ١٤

وبهذه المعاني يصبح اليهود .. أقرب ما يكونوا .. إلى أقوام .. لا بعث لهم .. ولا حساب لهم .. ولا دينونة لهم .. ولا جزاء .. ولا ثواب .. ولا جنة .. ولا نار . فالقضية — إذن — ديانة فحسب .. لم ترق حتى إلى مستوى الديانات المصرية القديمة أو حتى إلى مستوى الديانات البدائية التي تؤمن بالبعث والحساب والجزاء . فالبعث والحساب والجزاء هو الأمر الذي يفرض نفسه بشكل جبري — فيما بعد — على تشكيل الضمير الديني والأخلاقي لدى الإنسان .. وضرورة التمسك بصور مكارم الأخلاق .. كضرورة تحتمها فكرة نيل الخلاص ١٥ المأمول والسعادة الأبدية المرجوة .

ومن هذا البعد الديني الهام — أي عدم وضوح رؤية البعث والجزاء — يمكننا أن نفهم معنى تشكيل الضمير الديني .. والضمير الأخلاقي .. في الفكر الغربي (لأن الديانة اليهودية جزئية من الديانة المسيحية) . فإذا أضفنا إلى ما سبق .. الأمر الإلهي المباشر — لكل من يؤمن بالكتاب المقدس (أي الأمر الإلهي لكل من : اليهود والمسيحيين على حد سواء) بإيادة البشر .. كما جاء في النص المقدس التالي ..

١٤ " قصة الحضارة " ، ج ٢ ، ص : ٣٤٥ . وانظر كذلك : " اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام " د. فرج الله عبد الباري أبو عطا الله . دار الوفاء . ص : ١٥٣ .

١٥ كلمة " خلاص " مستخدمة هنا بمعنى النعيم الأزلي الذي يمكن أن يناله الإنسان — البار — في الآخرة .. كنتائج طبيعي من عمله الصالح في هذه الحياة الدنيا .. وتحقيقه الغايات من خلقه . كما يمكن أن تشير هذه الكلمة أيضا إلى " خلاص " الإنسان من متاعب هذه الحياة (أو التحرر من عبودية هذه الحياة) .. وحصول الإنسان على المعادة الأبدية المنشودة .

[(١٠) حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح (١١) فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك (١٢) وإن لم تسلمك بل عملت معك حربا فحاصرها (١٣) وإذا دفعها الرب إليك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف (١٤) وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إليك (١٥) هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا (١٦) وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إليك نصيبا فلا تستيق منها نسمة ما] ١٦

(الكتاب المقدس : تثنية { ٢٠ } : ١٠ - ١٦)

فإننا يمكن أن نرى أن : الإبادة .. والنهب .. والسبي .. هي جزئية أساسية من تشكيل الضمير الديني والأخلاقي لدى الفكر الغربي بصفة عامة ، والفكر اليهودي بصفة خاصة ١٧ !!!.. وكما نرى — من هذا النص المقدس السابق — أن فكرة القتال والبدء به هي حرية مشروعة يمكن أن يبدأ بها الغرب متى شاء .. وكيف شاء !!!.. لا مرجعية فيها لمطلق ديني أو أخلاقي .. ولا

١٦ راجع الملحق الرابع من هذا الكتاب لرؤية القتال وأحكامه في الإسلام . ويدهي لا يمكننا إغفال بعض صور ممارم الأخلاق التي تأتي متناثرة في الكتاب المقدس .. مثل النص المقدس التالي :

[(٤٤) أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضكم . وصلوا لأجل الذين يسبون إليكم ويطردونكم] (الكتاب المقدس : متى { ٥ } : ٤٤)

ولكن كيف يمكن الجمع بين هذا النص .. والنص المذكور أعلاه .. ونصوص أخرى في الغدر والقتل والنهب والسرق (سوف نرى المزيد منها في باقي فصول هذا الكتاب) !!!.. كيف يمكن الجمع بين كل هذه المتناقضات !!!؟.. في الواقع ؛ أن حجم المتناقضات الهائلة الموجودة في الكتاب المقدس والخرافات الواردة فيه تفقده مصداقيته تماما .. ولا تجعله مقدسا بأي حال من الأحوال (أنظر كذلك : الملحق الخامس من هذا الكتاب) . وما زلت أؤكد أنه لولا وجود بقايا الدين الإسلامي في الديانتين اليهودية والمسيحية ما قدر لهاتين الديانتين البقاء . فتسورة موسى .. وإنجيل عيسى (قبل تحريفهما الحالي) لم يتجاوز معناه عن نسخ أولى من الدين الإسلامي نفسه ، وذلك من المنظور التالي : (١) أن الدين مصدره الإله .. وليس الدين مصدر الإله . (٢) وطالما أن الإله واحد ولا متغير .. فلا بد وأن يكون الدين هو الآخر واحدا ولا متغيرا . (٣) أن الله لم ينزل غير الإسلام ديناً في كل الأزمنة . للتفاصيل أنظر : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " لنفس المؤلف . يطلب من مكتبة وهبة .

١٧ في تقرير لوزارة الخارجية المصرية يقول بأن عدد القتلى من الأسرى المصريين في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ فقط ، وصل إلى (٦٥) ألف أسير !!!.. وأن هذا الرقم قد تم الوصول إليه من خلال (١٠٠٠) وثيقة و (٤٠٠) شهادة حية لقادة إسرائيليين وأمريكيين وأوروبيين . وإن من أبرز الجنرالات الإسرائيليين الذين شاركوا في ذبح هذا العدد من الأسرى المصريين : الرئيس الإسرائيلي عزرا وإيزمان الذي قتل عدداً قرابة العشرين ألف أسير ، وموشيه ديان الذي مثل القاسم المشترك في كل عمليات القتل ، وديفيد ليفي ، وروفائيل إتيان ، وإسحاق رابين ، وإيهود باراك (رئيس وزراء إسرائيل الحالي) الذي قتل ألفي أسير مصري في عشرة دقائق .. وغيرهم من القتل المجرمين بنص القانون والمواثيق الدولية التي تعتبر جريمة قتل الأسرى من الجرائم التي لا تسقط بالتقادم !!!..

تخضع لقيود ما .. بل هي منظور نسبي فحسب . فكما نرى ؛ أن الإبادة الكاملة –
والتي تجسّر بلا رحمة وبلا إنسانية – هي من نصيب شعوب المناطق المجاورة لهم^{١٨}
!!!.. أما الإبادة الجزئية والنهب والسبي – كما يقول بهذا الإله – فهي من نصيب الشعوب
الأكثر بعدا عنهم !!!..

ومن هذه المفاهيم أيضا يمكننا أن نفسر معنى " العلمانية الشاملة " التي ينادي بها الغيوب
الآن .. والتي تتعامل مع الإنسان على أنه " مادة بشرية : Human Material " ليس إلا .
فإن أمكن توظيفه أصبح بهذا المعنى " مادة مفيدة : Useful matter " ، وإذا لم يمكن توظيفه
فيشار إليه بأنه " فائض بشري : Human Surplus " ، أو أنه " مادة غير نافعة : Un-useful
matter " . وهذه المادة الفائضة لابد وأن تخضع إلى شكل من أشكال المعالجة لتصحيح
وضعها ، فإما أن تصدر (Transferred) إلى أماكن أخرى .. أو أن يعاد صياغتها (أي
تسخيرها بالعمل في أماكن بعينها) .. أو أن تباد إذا فشلت معها الحلول السابقة !!!..

٢. البعث والجزاء في الديانة المسيحية (العهدين القديم والجديد)

والآن ؛ إذا انتقلنا إلى الديانة المسيحية ، أي إلى العهد الجديد من الكتاب المقدس (لاحظ
أن العهدين يشكلان معا النص الكتابي للديانة المسيحية ، أي الكتاب المقدس) فربما نجد أن هذه
الأمر قد تحسنت قليلا .. بمعنى أننا سوف نجد بعض النصوص تشير إلى قيامة الإنسان من
بين الأموات .. نظرا لقيامته المسيح نفسه من بين الأموات .. كما نجد الربط اللازم بين معاني
الخلاص (أي الحساب والجزاء) وبين مكارم الأخلاق (إلى حد ما) . ولكن سرعان ما يتبدد
هذا الوضع .. وأن تتقلب الأمور رأسا على عقب .. فيصبح نيل الخلاص لا علاقة له بمكارم
الأخلاق .. كما تبقى مشكلة مكان الأبرار في السماء معلقة وبلا حل !!!..

وقبل البدء في شرح وتحليل هذا الفكر السابق .. دعنا – أولا – نؤكد على أن كل ما ورد ذكره
في العهد القديم – من الكتاب المقدس – ويؤمن به الشعب اليهودي ، هو نص إيماني ملزم
للسبب المسيحي .. لقول المسيح ..

^{١٨} انظر كذلك : " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري " (بند : الإبادة البشرية كنتاج حتمي للمفهوم الديني
الوثني والفلسفة الحديثة) ، لنفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة .

[(١٧) لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل]

(الكتاب المقدس : متى { ٥ } : ١٧)

ومن هذا المنظور – وباتفاق جميع الكنائس – تصبح جميع النصوص الإبادية السابق ذكرها في الديانة اليهودية .. هي نصوص إيمانية سارية المفعول (أو سائدة) في الفكر المسيحي أيضا .. كما هي نصوص إيمانية سائدة في الفكر اليهودي ...!!! والآن إلى المناقشة والتحليل ..

يقول نيافة الأنبا يوانس ١٩ : * لعل من أروع ما كتب عن حقيقة قيامة الأجساد في العهد الجديد ، ما دونه معلنا بولس الرسول في إصحاح بأكمله هو الإصحاح الخامس عشر من رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس .. * حيث يذكر لنا بولس الرسول .. في سفره هذا ..

[(١٣) فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام (١٤) وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم (١٥) ونوجد نحن أيضا شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يقمه إن كان الموتى لا يقومون (١٦) لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام]

(الكتاب المقدس : رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس { ١٥ } : ١٣ - ١٦)

وهكذا ؛ يدل هذا النص على ضرورة الإيمان بقيامة الموتى طالما وأن المسيح ذاته (أى الإله بعد تجسده) قد قام من بين الأموات وانتصاره على الموت . وقصة انتصار الإله على الموت وانتزاع سلطة الموت من الشيطان هي قصة شائقة ، ويمكن الرجوع إلى " تفاصيلها " في مرجع الكاتب السابق ٢٠ ، ولكن ما يعنينا هنا هو البحث وراء فكر " البعث والجزاء " . وهكذا نجد أن المسيحية تؤمن بالبعث .. بما لا يدع مجالا لأي شك .. وحسنا ما فعلوا ..

ثم نأتي إلى الربط بين مكارم الأخلاق .. وبين نيل الخلاص .. حيث يقول نيافة الأنبا يوانس :

١٩ " السماء " / ص : ١٣٩ . لمثلث الرحمت نيافة الأنبا يوانس . الطبعة الخامسة . مطبعة الأنبا رويس .
٢٠ " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " لنفس مؤلف هذا الكتاب . يطلب من مكتبة وهبة . كما سنرى ملخصا لهذه الفصحة في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

” لا نستطيع أن نتعرض بالشرح لكل فئة من الممنوعين من السماء على حدة ، ولكننا نتأمل بعض الايات التي جاءت بالكتاب المقدس وفيه إشارة إلى بعض عينات من الممنوعين :

[(٩) أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله . لا تضلوا . لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون (متخثنون) ولا مضاجعون ذكور (١٠) ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس { ٦ : ٩ - ١٠ })

ومن هذا النص المقدس نجد طائفة كبيرة من الممنوعين من ميراث ملكوت الله .. منهم الزناة .. وعبدة الأوثان .. والمتخثنون .. ومضاجعو الذكور .. إلى آخره ...!!! وعلى الرغم من وجود النص المباشر بأن المتخثنين ومضاجعي الذكور لا يرثون ملكوت الله .. إلا أننا نجد بعض الكنائس تقوم بعقد قران رجل على رجل آخر ^{٢١} ، وليس هذا فحسب بل نجد أن الشذوذ الجنسي متفشى بنسبة كبيرة بين رجال الدين المسيحي .. حيث يرى بعض علماء الاجتماع الأمريكيين أن **القس المسيحي** الشاذ يكون قد اعتدي - في المتوسط - على حوالي ٥٠ طفلا على مدى ٢٥ سنة من خدمته في سلك الكهنوت ...!!! وقد أكد أخيرا تقرير عن الكنيسة الأسقفية الأمريكية - أكبر طوائف الكنيسة البروتستانتية - عن وجود الشواذ والشاذات جنسيا ^{٢٢} في سلك الكهنوت ، وإن هذا الأمر لم يعد سرا . ويقول التقرير .. إن الكنيسة لا ..

^{٢١} شاهدت ذلك بنفسى في أثناء تواجدى بهولندا ، وكان أحد الرجلين يترك شعره الطويل مرسلا ، كما لو كان امرأة ، بينما الرجل الآخر قد حلق رأسه بالموسى تماما ، وبشكل مقزز ليدل على إنه الرجل . وقد أجرى القس جميع مراسم الزواج داخل الكنيسة ، كما هو الحال عند زواج الرجل بالمرأة . وعقب إتمام الزواج تبادل الرجلان القبلات من الفم بشكل كرية ومقزز للغاية ، كما لو أنهما رجلا وامرأة حقيقية . وفى زواج حديث من هذا النوع تم فى سويسرا - حيث كان محرما فيها من قبل - قال القس ” كلاوس بوملين ” يصف حفل الزواج : ” إنه بادرة تعويض بسيطة حيال **مثلي الجنس** الذين رفضتهم الكنيسة ولاحتقتهم طوال قرون ” .

^{٢٢} يقدر القس الأمريكى (سابقا) والكاتب حاليا (ريتشارد سيبه) بأنه يوجد ١٠ آلاف من ٥٣ ألف رجل دين أمريكى ... شاذين جنسيا . أى أن نسبة الشواذ بين رجال الدين فى الولايات المتحدة تبلغ حوالى ٢٠% من تعداد الكلى لهم . وكذلك يقدر عالم الاجتماع الكنسى (أندرو جريلين) أن القس الشاذ ، على مدى ٢٥ سنة من وظيفته ، يكون قد اعتدى تقريبا على ٥٠ طفلا ، أى بمعدل طفلين فى السنة ، ولا يستبعد (جريلين) بأن يكون الرقم الحقيقى هو ستة أضعاف هذا العدد . ويشارك القساوسة فى الولايات المتحدة بحوالى ٢% إلى ٣% من نسبة جرائم الاغتصاب السنوية فى الولايات المتحدة . فإذا ما أخذ نسبة عدد الرهبان إلى العدد الكلى للسكان بالولايات المتحدة ، فيكون حجم ما يسببه القس الأمريكى هو حوالى ٥٠ ضعفا من حالات الاغتصاب أكثر من الفرد الأمريكى العادى . ولا ننسى فى هذا الصدد ، اتهام رئيس أساقفة فيينا (الكردينال جرور : Groer) بالشذوذ الجنسي ، بعد أن قام ضحاياه بالاعتراف عليه الآن ، مما دفع هذا **بابا الفاتيكان** **يوجنا بولس الثانى** بتعيين آخر إلى جانبه ، ولكن لم يقله .

يمكن أن تدافع عن حقوق الشواذ والشاذات في المجتمع عموماً !!!.. إذا كانت - هي -
تحرم العاملين في سلك الكهنوت من هذه الحقوق نفسها !!!..

فكيف يكون هذا !!!؟.. كيف يمكن أن يقول الكتاب المقدس بحرمان مضاجعي الذكور
من ملكوت الله وتقوم الكنائس الغربية بإسباغ الشرعية على هذه المضاجعة !!!؟.. فهل هناك
شك في فهم معنى ملكوت الله أم أنه يمكن التغاضي عن مثل هذه الذنوب كما يمكن التكفير عنها
ببساطة شديدة !!!؟.. في الواقع ؛ يمكن تفسير هذا الوضع المتناقض للكنيسة ، إذا علمنا
بالآتي :

أولاً : أن بعض نصوص الكتاب المقدس تسرد لنا أسوأ أنواع الفواحش (ومنها زنا المحارم)
على أنها أفعال تكاد تكون طبيعية وعادية لا غرابة فيها .. منها على سبيل المثال .. زنى
ابنتي لوط بأبيهما لوط ..

[(٣٠) وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه .. (٣١) وقالت البكر للصغيرة
أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كمادة كل الأرض (٣٢) هلم نسقي أبانا
خمرا ونضطجع معه .. (٣٣) فسقتا أباهما خمرا تلك الليلة . ودخلت البكر واضطجعت مع
أبيها .. (٣٤) وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني اضطجعت البارحة مع أبي . نسقيه
خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه . فتحي من أبينا نسلا (٣٥) فسقتا أباهما خمرا في
تلك الليلة أيضا . وقامت الصغيرة واضطجعت معه .. (٣٦) فحبلت ابنتا لوط من أبيهما
(٣٧) فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب . وهو أبو الموابيين إلى اليوم (٣٨) والصغيرة
أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي . وهو أبو بني عمون إلى اليوم]

(الكتاب المقدس : التكوين {١٩} : ٣٠ - ٣٧)

ثانيا : تلغى بعض النصوص المقدسة " المسؤولية الإنسانية " في فكر الخلاص على نحو عام .
حيث يبين لنا الكتاب المقدس أن " الخلاص " في الفكر المسيحي هو ناتج طبيعي أو ناتج تلقائي
من الإيمان بالمسيح وليس له علاقة بصالح أو بطالح الأعمال ، بل هو هبة من الله .. حتى لا
يفتخر بها أحد .. كما قال بهذا بولس الرسول .. في النص المقدس التالي ..

[(٨) لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله (٩) ليس من أعمال
كيلا يفخر أحد]

(الكتاب المقدس : رسالة بولس الأولى إلى أهل أفسس {٢} : ٨ - ٩)

ثالثًا : الاعتراف بالخطيئة يمكن أن يسقط القصاص ...!!! فمن المعروف — من منظور الكتاب المقدس — أن المسيح قد صلب ومعه لسان أخران .. وكانت الجموع المحتشدة لرؤية حادثة الصلب هذه .. تستهزئ بالمسيح .. كما كان اللسان المصلوبان معه يستهزئان به أيضا .. بل ويسخران منه كذلك ..

[(٣٩) وكان المجتازون (المارة) يجدفون عليه (يشتمونه) وهم يهزون رؤوسهم (٤٠) قائلين يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك . إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب (٤١) وكذلك رؤساء الكهنة أيضا يستهزئون مع الكتبة والشيوخ .. (٤٣) قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراد . لأنه قال أنا ابن الله (٤٤) وبذلك أيضا كان اللسان اللذان صلبا معه يعيرانه (أي يسخران منه بمثل هذا الكلام)]
(الكتاب المقدس : إنجيل متى { ٢٧ : ٣٩ - ٤٤ })

ولكن يعترف أحد اللصين بذنبه .. فيكون في الفردوس مع الرب ..

[(٣٩) وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا (٤٠) فأجاب الآخر وانتهره قائلا أولا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه (٤١) أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس في محله (٤٢) ثم قال ليسوع اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك (٤٣) فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس]

(الكتاب المقدس : لوقا { ٢٣ : ٤٢ - ٤٣ })

ومن هذا المنظور ، نرى أن مجرد الاعتراف بالذنب يكفي لتبرئة المذنب من القصاص .. ووضع اللص في الفردوس الإلهي . وهو ما يعني أن الإيمان والاعتراف بالذنب يكفي وحده لكي يكون الإنسان مبشرا بالجنة في الفكر المسيحي^{٢٣}!!!

^{٢٣} بديهي سوف يذهب فكر المسلم مباشرة إلى مقارنة شخصية هذا اللص المبشر بالفردوس السماوي (أي بالجنة) وشخصية العشرة المبشرون بالجنة في الإسلام .. مثل : أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان .. وعلى ابن أبي طالب .. إلى آخره .. وما كانوا عليه من قمة قم العلم .. وقمة القمم في مكارم الأخلاق !!!

وبأخذ ما سبق في الاعتبار ؛ يمكننا فهم – الآن – سلوك بعض باباوات الكنيسة الكاثوليكية بروما .. ومنهم من كان يعاشر بناته جنسيا (البابا ألكسندر السادس) ، ومنهم من كان يعاشر أمه معاشرة الأزواج (البابا يوحنا الثاني عشر) !!!..

ثم ننتقل إلى النقطة الثانية من هذا التحليل .. وهي مشكلة مكان الأبرار من المسيحيين في الفردوس السمائي !!!.. والإجابة على هذا السؤال يستلزم شرحه بعض الإفاضة خصوصا عندما نعلم أن الفرد المسيحي لا مكان له في هذا الفردوس .. لاعتبارات كثيرة منها : أن الفرد المسيحي ليس من ضمن " شعب الله المختار " من جانب .. ومنها ضيق المكان ذاته .. أي ضيق مساحة الفردوس السمائي من جانب آخر !!!.. وسوف يتم مناقشة هذا السؤال بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

وننتهي من هذا ؛ بأنه من الأمور البديهية .. طالما وأن الجزاء – في المسيحية – يمكن أن يمحي ببساطة شديدة بمجرد الاعتراف بالذنب من جانب .. كما لا يوجد مكان للفرد المسيحي في الفردوس السمائي من جانب آخر !!!.. إذن فحدث بلا حرج حول تشكيل الضمير الديني والأخلاقي لدى الفرد المسيحي !!!.. ولا بأس – إذن – من أن تحتوي " مسيحية المحبة " – إلى جانب احتوائها على العهد القديم والإيمان بنصوصه الإبادية – على نصوصها الإبادية الخاصة بها .. والتي تسمح هي الأخرى بالذبح والإبادة ، ويأتي هذا المعنى في النص المقدس التالي الذي ينسب إلى السيد المسيح (التلاميذ) :

[(٢٧) أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي]

(الكتاب المقدس : لوقا { ١٩ } : ٢٧)

وهو نص يمثل التعصب الدموي في أشقى معانيه .. فـ " أملك عليهم .. " يعنى أن يكون المسيح ملكا عليهم . أما الأعداء فهم أى شعب لا يقلل بأن يكون المسيح ملكا عليه ، أو بمعنى أكثر تخصيصا هم أى شعب لا يرتضى فكرهم بأن يكون عيسى إلها !!!.. فيقول السيد المسيح لأتباعه .. " فأتوا بهم .. " ، أى بهؤلاء ، أو بهذا الشعب الذي لا يرتضى بهذا التتويج أو هذا المنهاج .. واذبحوهم قدامي .. " أى تحت قدمي . وبديهي إن لم يكن السيد المسيح موجودا بالكيان الفيزيائي له وقت ذبح الأعداء ، فلا بأس من أن يتم الذبح أمام أى رمز أو وثن يشير إليه بشكل أو بآخر . والآن ؛ أين فكر " قبول الآخر " في هذا النص المقدس !!!؟..

٣. من ذاكرة التاريخ .. والضمير الديني والأخلاقي في الفكر المسيحي الغربي

كما رأينا ؛ فإن التعصب الديني الدموي في أبشع معانيه (راجع مقدمة هذا الكتاب لرؤية النصوص القرآنية حول حرية العبادة) هي نصوص كتابية مقدسة .. لهذا يأتي بعض باباوات الكنيسة الكاثوليكية المسيحية (ومنهم من كان يعبد الشيطان) لا ليمارسوا القتل الجماعي بالجملة فحسب بل يرسوا كذلك قاعدة القتل محلل بالنسبة للكنيسة المسيحية ومن شروط خلاص النفس ^{٢٤} . ونوجز - هنا - بعض الأمثلة التاريخية لفكر " قبول الآخر " كما تسأتي به " مسيحية المحبة " !!!..

ونبدأ هذه الأمثلة .. بالبابا أوربان الثاني ^{٢٥} ، بابا الكنيسة الكاثوليكية في روما ، الذي أعلن في ٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥ ، بأن المسلمين كفرة يستباح دماؤهم والاستيلاء على ممتلكاتهم !!!.. وقام بدعوة العالم المسيحي إلى الحسب المقدسة (أى إلى الحروب الصليبية) لاستعادة الأراضي المقدسة من بين أيدي المسلمين . وقد أعلن أوربان الثاني إنه سوف يغفر الذنوب جميعا لمن يساهم في هذه الحروب الصليبية من منطلق التفويض الإلهي الممنوح له من السماء !!!.. ودخلت قوات الحملة الصليبية الأولى ^{٢٦} الأراضي المقدسة

^{٢٤} - الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإيمان ، لرؤية بعض الأمثلة التاريخية الدالة على ذلك .

^{٢٥} اسمه الأصلي أودودى لاجرى (١٠٤٢ - ١٠٩٩) . ولد بالقرب من مدينة شاتيون على نهر المادان في فرنسا . وقد جاء من أسرة نبيلة ، وتلقى تعليما جيدا . وابتداء سلك الرهبنة والكهنة من مراحلته الأولى حتى أصبح بابا الكاثوليك في سنة ١٠٨٨ . ومات البابا أوربان الثاني سنة ١٠٩٩ ، بعد أسبوعين من استيلاء الصليبيين على مدينة القدس ، دون أن تبلغه أنباء هذا النصر الكبير .

^{٢٦} في الحقيقة كانت هذه الحملة هي الحملة الصليبية الثانية ، فعقب دعوة البابا أوربان الثاني لإنقاذ الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين ، تم تأليف جيش قوامه مائتا ألف مقاتل . يقول عنهم المؤرخون : إنهم من المرتزقة وقطاع الطرق والأقاقين تحت قيادة " جونيه المعدم " ، واتخذ هذا الجيش " عنزة ولوزة " شعارا له ، كائنات على حد قول المؤرخين مهبط الوحي الإلهي لهم . وكانت الطقوس الدينية التي تباشرها هذه القوات ، خليطا من العبادة والعريضة .. من الصلاة والسكر والانحلال الخلقي .. وكانت الحملة في زحفها لا تعدو عن أن تكون عصابة كبيرة دأبت طول الطريق على السطو والقتل . فنارت حفاظ أهل البلاد التي مروا بها . وتجمعوا للدفاع عن أموالهم وأعراضهم وأفسسهم ... واقضوا على هذا الجيش وشتوا شمله . ففر رجاله ، وكان بطرس التامك في طليعة الفارين . ثم عادت قلوب الجيش فتجمعت من جديد ، وواصلت الممير حتى بلغت القسطنطينية حيث أمر الإمبراطور البيزنطي " ألكسيس " بإبعادهم ، ونقلهم إلى البر الآسيوي للبويسفور .. إلى أن لاقاهم الأتراك بالقرب من مدينة " نيقية " في معركة انتهت بهزيمة الصليبيين . وانتهت الحملة التي كان شعارها : " هكذا إرادة الله " .

وكانت كارثة الحملة الصليبية درسا لم ينسه الغرب ولا الكنيسة ، حينما شرعا في تنظيم حملتهما التالية ، فاطلقوا عليها - كما هو معروف تاريخيا - " الحملة الصليبية الأولى " وذلك تبرعا من مابقتها .

(أورشليم) بعد ظهر يوم الجمعة ١٥ يوليو عام ١٠٩٩ ، فى مشهد تاريخي رهيب يقول عنه المؤرخ " جيبون " :

" إن خدام رب المسيحيين رأوا باعتقادهم الأعمى أن يكرموا الرب ، فقاموا بذبح ٧٠ (سبعين) ألفا من المسلمين .. تعظيما وإجلالا وزلقى وقربانا له .. ولم يرحموا كبار السن والأطفال والنساء .. وقد استمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام ، وأن من احتفظوا بهم من الأسرى دون أن يقتلوه ، إنما يرجع بقاؤهم على قيد الحياة إلى التعب والإجهاد الذي أصاب الصليبيين من كثرة ما قاموا به من القتل والذبح . "

ويعجب المؤرخ لودفيج .. فيقول :

" كيف ساغ لزعماء الكنيسة والأشراف من الصليبيين بعد هذه المذبحة أن يوفوا نذرهم ، ويكشفوا رؤوسهم ، ويخلعوا نعالهم ، ليسيروا فى بحار من الدماء ، ليصعدوا إلى المرتفعات التى نصب عليها الصليب ، ويلصقوا شفاههم بقبر المسيح ، بين مختلف التراتيل والتسابيح والأناشيد والمزامير !!!.. لقد كان منظرا بشعا لا يمكن أن يتصوره أحد . فهؤلاء أراقوا دماء سبعين ألف مسلم ، وهم الآن يلتمسون الغفران وتطهير أجسادهم وأرواحهم ، ويأملون فى العفو عن خطاياهم ، بل ويستمدون البركة من الكنيسة " ٢٧ .

وينبغي أن أشير — هنا — إلى أن المؤلفين والمفكرين الغربيين يجمعون على أن الهوية الأوروبية ذاتها نشأت من العداء للإسلام ، وأن أوربا كانت بلا هوية ولا تجمعها ثقافة واحدة حتى الحروب الصليبية ، وأن تلك الحروب هى التى جمعت القبائل والشعوب الأوروبية ذات الثقافات المختلفة والهويات على قاعدة العداء للإسلام وبدأت الهوية والثقافة الأوروبية تتشكلان من خلال هذا الصراع .

٢٧ فى المقابل عندما استرد الناصر صلاح الدين " القدس " مرة أخرى (فى ٢ أكتوبر ١١٨٧) ، .. نأدى البعض بهدم كنيسة القيامة ومعاملة أهل المدينة بمثل ما عاملوا به المسلمين من قبل ، فرفض صلاح الدين هذا الطلب بحزم ، بل ونهر كل من نادى به ، كما أمر باحترام الأماكن المسيحية المقدسة ونادى بالتزام روح التسامح تجاه المسيحيين . ولم يكتف صلاح الدين بهذا ، بل قام برد الأماكن التى سلبت منهم ، كما كافأهم لتعاونهم معه بأن قام بإهداء دير السلطان لهم (وهو مبنى بناه أحد السلاطين السابقين لصلاح الدين ليكون استراحة لعماله) . يوجد تفاصيل أخرى فى الفصل السابع من هذا الكتاب .

كما ظهر فكر الضمير الديني والأخلاقي – أيضا – في الفكر الغربي .. عند تشكيل محاكم التفتيش^{٢٨} ، وهو تاريخ الدكتاتورية الدينية والاضطهاد الديني في أبشع صوره ، وقتل حرية الفكر الإنساني بأبشع أداة . ومن أقدر سبل هذه المحاكم إنها حتمت أن يبلغ كل إنسان في غير تباطؤ ما يصل إليه سمعه بشأن الملحدين أو الهرطقة . والملحد هو لفظ استخدم أساسا لتعريف كل من يعتنق الإسلام أو من كان مسلما ثم أجبر على التنصر وبدرت منه بادرة توحى بعدم الاقتناع بالمسيحية ، أو مارس الإسلام في الخفاء . وهددت الكنيسة من يتوانى في التبليغ بعقوبات صارمة في الدنيا والآخرة ، فانتشر بسببها نظام التجسس حتى بين أفراد الأسرة الواحدة .

وبهذا بدأت الإبادة المنظمة للملحدين (المسلمين) وجعلها البابا واجبا دينيا على كل كاثوليكي . وقد تم تنظيم محاكم التفتيش من المفتشين ، وكان أعضاؤها مقصورة على شسرايح معينة من رجال الكنيسة كال دومينيكان مثلا . وكان كل شيء مباحا للمفتشين ، فهم الجناة والقضاة في نفس الوقت ، وكانوا يستلهمون سلطتهم من البابا رأسا وهو المعصوم من الخطأ ، لذلك لم يخضعوا للقوانين المدنية أو لأي سلطة كنسية أخرى .

وقد كثر صرعى هذا النظام ، ولم يكن الغرض من التتكيل بالملحدين – والذين لم يكونوا سوى المسلمين أو من أجبر منهم على التنصر – هو مجرد إعدامهم والتخلص منهم ، بل كان الهدف هو إثارة الفزع في نفوس الذين يوسوس لهم الشيطان بالمروق أو الانحراف عن الديانة المسيحية . ولم يكن الإعدام يجرى على وجه السرعة ، بل جرت العادة بأن يحرق الملحدين (المسلمون) أحياء ، وبأن تكون النار بطيئة بحيث لا تأتي على ضحيتها مرة واحدة !!! وكانوا يبررون إطالة العذاب على هذا النحو ، لأنه يبيح للمتهم فسحة من الوقت ، لكي يستطيع فيها أن يعلن توبته !!! وهذا الإحراق بالنار كانت تسبقه مراحل من التعذيب بالكي بالنار ونحوه ، حيث يختبر فيها صلابة الفرد وعمق إيمانه وقوة إرادته ، لانتقاء أنسب أسلوب لحرقه . ومن الغريب أن هذا الأسلوب في اختبار قدرة المتهمين قبل حرقهم ، قد حدده أمر بابوي أصدره إنوسنت الرابع ، وأعاد توكيده كليمان الرابع في أمر بابوي آخر^{٢٩} . وتسمى

^{٢٨} يعتبر الميلاد الحقيقي لمحاكم التفتيش جاء فور اعتلاء البابا جريجوري التاسع عرش البابوية في عام ١٢٢٧ ، وذلك حين أصدر كتابا بأن يحرق جميع المشعوذين والملحدين أو من يحذو حذوهم . والمشعوذ أو الملحد ليس له تعريف محدد في الفكر الكنسي . حتى قيل : " أن المسيح نفسه كان سيعتبر مشعوذا لو كان حيا في عصر محاكم التفتيش " .

^{٢٩} " قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام " د. توفيق الطويل ، ص ٨٤ وما بعدها . وانظر كذلك " مقارنة الأديان - ٢ . المسيحية " د. أحمد شلبي ، ص ٦٧ وما بعدها .

قمة الاختلال النفسي والعقلي في ذلك الوقت لأعضاء محاكم التفتيش ، عندما يعلن القاضي الإكليريكي أن السجين ملحد (مسلم أو مسلم الجنور) ، ولا أمل في توبته . ثم يسلمه للسلطات الدنيوية .. ويلتمس عندها التزام الرحمة والرفق في معاقبته .. وهو يعلم أن السلطة الدنيوية لا تملك إلا إعدام المتهم بالهرطقة في مدة لا تتجاوز ستة أيام ، وإلا أتهمت هي - نفسها - بالعمل على ترويح الإلحاد !!!..

وهكذا غرقت أوروبا في بحر من دماء المسلمين أو المسلمين الذين أجبروا على التتصر ٣٠ على يد محاكم التفتيش . أما الأعداد التي أعدمت فأكثر من أن تحصى ، وحسبنا أن نسوق هنا بعض الأرقام للدلالة على بشاعة هذا الاضطهاد الديني الدامي ، معتمدين في هذا على " لورنتي : Lorente " .. سكرتير التفتيش في أسبانيا (الأندلس) والمؤرخ في نفس الوقت لتصفية الإسلام والمسلمين ، والذي أتيح له البحث بمطلق الحرية في " أرشيفات " محكمة التفتيش في أسبانيا ٣١ فقط . حيث يقول - لورنتي - أن محكمة تفتيش أسبانيا (الأندلس) قدمت وحدها إلى النار أكثر من واحد وثلاثين ألف نفس ، من عام ١٧٩٠ إلى ١٧٩٢ ، وأصلت أكثر من مائتين وتسعين ألفا عقوبات أخرى تلي الإعدام في صرامتها ، وهذا الرقم لا يشمل الذين أودت بحياتهم فروع هذه المحكمة - الأسبانية - في مكسيكو وليما بأمريكا الجنوبية وقرطاجنه وجزر الهند الغربية وصقلية وسردينيا ، وأوران ومالطة .. وجميعها موجه أساسا إلى استئصال الإسلام وللمسلمين !!!..

وقد كان من أشهر المفتشين في أسبانيا هو " توماس الطرقماوى " ، الذى إستمر فى منصبه لمدة خمسة عشر عاما ، وكان له (١١٤,٠٠٠) ضحية تم إحراق (١٠,٢٢٠) منهم . وعندما غزا نابليون أسبانيا عام ١٨٠٨ ، اعتصم القساوسة الدومينيكان ٣٢ بديرهم فى مدريد ، وعندما اقتحمه نابليون عنوة أنكر القساوسة الدومينيكان وجود أى حجرات للتعذيب . ولكن عند البحث والتفتيش وجدها جنود نابليون تحت الأرض .. ممتدة لمسافات كبيرة تحت

٣٠ - انظر تذييل رقم ٣ من مقدمة هذا الكتاب .

٣١ - قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام " د. توفيق الطويل ، ص ٨٧ وما بعدها . و " تاريخ الكنيسة الأسود " ، القس اللاهوتي بيتر دى روزا ، الترجمة (عن الألمانية) : أسر حطبية ، الدار المصرية للنشر والإعلام . ص : ١٢٠ - ١٢٢ .

٣٢ - الرهبنة الدومينيكانية ؛ وهى الرهبنة التى أسسها القديس دومينيك عام ١٢١٥ ، ويلقب المنخرطون فيها باسم " الأخوة الوعظ " . وقد بدأت نشاطها أول ما بدأنه فى مدينة تولوز بفرنسا ، وهى أول رهبنة كاثوليكية أخذت على عاتقها التبشير بالعقيدة المسيحية . وقد تميز الدومينيكانيون الأولون بثقافة تخطت اللاهوت ، وإلى محاولة للتوفيق بين اللاهوت والفلسفة . ولكن كانت دعوتهم تتميز بالنعصب الديني ، حيث قاموا بدور إيجابى فى تشكيل أعضاء محاكم التفتيش .

الدير .. وكلها مليئة بالمساجين .. وكلهم عرايا وكثير منهم معتوه من آثار التعذيب ٣٣ .
ورغم أن القوات الفرنسية لم تكن تتميز برقة الشعور إلا أن هذا المنظر قد أثار شعور جنودها ،
فأخرجوا المساجين وفجروا الدير بأكمله . (أنظر كذلك تذييل رقم ٢٨ من الفصل الثامن — من
هذا الكتاب — لرؤية تفاصيل أخرى عن الإبادة .. وتجارة الرقيق .. والتي نتج عنها إبادة
حوالي ١٠٠ مليون أفريقي !!!) .

وهكذا نرى أن الذبح والقتل والتعذيب في أشنع صوره ومعانيه يمكن أن يتم داخل
الصوامع الدينية .. وأديرة التعبد والرهبة في مسيحية المحبة .. في صورة هي — بالقطع —
صورة تعبدية !!! .. إذن هي نصوص كتابية .. تسقط العبادة السوداء عن مصاصي الدماء ..
الذين يمارسون القتل والذبح وأعمال التعذيب الجنونية والوحشية .. تحت المزاغم الدينية
!!! .. وبديهي ؛ بعد هذا العرض الموجز يمكننا الآن ، أن نفهم ولو قليلا .. معنى تشكيل
الضمير الديني والأخلاقي في الفكر المسيحي الغربي بصفة عامة !!! ..

٤ . البعث والجزاء .. في الفكر الإسلامي

وعلى النقيض من كل ما سبق ذكره في الديانتين اليهودية والمسيحية نجد الإسلام محددًا
للغاية لمفاهيم " البعث والحساب والجزاء " بوضوح لا لبس فيه . فالموت والبعث والحساب
والجزاء .. كلها أمور ساطعة المعاني في الدين الإسلامي . الجزاء وأشكاله وصوره معرف
بدقة بالغة .. النعيم وأشكاله وصوره معرف بدقة تتناهى إلى ما وراء العلم البشري المحدود .

فالموت في الفكر الديني المطلق (أي الدين الإسلامي) هو مجرد تغير مناظر بانوراما
الوجود فحسب .. فالاتصالية قائمة .. بين هذه الحياة .. وبين حياة فيما وراء الموت . فالموت
لن يعنى لنا أكثر من الحدث الانتقالي في سيناريو الوجود من كون إلى أكون أخرى موازية ..

٣٣ من آلات التعذيب التي وجدت .. حجرات صغيرة راسية وأفقية في حجم جسم الإنسان .. يوضع فيها الملعّد
(أي المسلم .. أو المسلم المنتصر ظاهريا) ليظل واقفا فيها أو راقدًا حتى الموت . كما وجد آلات لسحق عظام
الجسم البشري تبدأ بالأقدام وتنتهي بالرأس .. وصناديق صغيرة بحجم رأس الإنسان توضع فيها رأس الملعّد
(المسلم) بعد أن يتم تقييد يديه ورجليه بالسلاسل والأغلال حتى لا يستطيع الحركة .. ثم يتم وضعه تحت خزان
تقطر منه المياه بانتظام على الرأس حتى يصيبه الجنون .. هذا غير توابيت تثبت في داخلها سكاكين حادة
يوضع فيها الملعّد (المسلم) لتثقل عليه فيتمزق جسده (وهو طقس يهودي .. يعرف بالصندوق الإبري
لتصفية دم الضحية .. حتى يمكن جمعه .. وتقديمه كقرбан مذبح في صور مختلفة) .. كما عثر على كلابيب
تغرّز في أذناء النساء وتسحب بعنف حتى تنقطع الأذناء وتبتر بالسكاكين .. وسيط من الحديد الشائك يضرب
بها الملعّدون (المسلمون) وهم عراة حتى يتناثر لحومهم !!! ..

ولن يزيد معناه عن دخول الإنسان في أبعاد لانهائية تحكمها قوانين فيزيائية مغايرة ، إن جاز لنا استخدام هذه الألفاظ التي توحى بتناظر المعاني ، وعلينا تحقيق هذه القوانين . فالموت هو مجرد حدث تغير المناظر في فاصل التثقل بين فصول المسرحية الواحدة .. مسرحية نحن أبطالها !!!.. فالموت يسدل الستار على أحداث فصل سابق .. ويرفع الستار عن أحداث فصل تالي .. !!!.. **ولسنا - البشرية - متفرجين في مسرحية كونية ننصرف عقب عرضها .. ببلاهة .. لنتمطى .. ونشأب .. !!!** بل نحن أبطال الرواية ذاتها .. وسيسدل الستار عن مأساة حقيقية مالم نجيد فهم حقيقة أوارنا ٣٤ !!!..

فإذا أضفنا ما سبق تقديمه في مقدمة هذا الكتاب حول اعتراف الإسلام بحرية اعتناق الفرد لأي دين ، ومقدمة هذا الفصل إلى هذا البند - تجنباً للتكرار - حول تشكيل ضمير الفرد الديني والأخلاقي لدى الفرد المسلم .. فإننا يمكن أن نشير إلى البعث في إيجاز ، إذا علمنا أن هذه الكلمة ومشتقاتها وردت في القرآن المجيد في (٦٨) موقع من آياته .. من هذه المواقع البلاغ التالي الصادر عن الله (ﷻ) للبشرية جمعاء والتي تتشكك .. وتشكك في فكر البعث .. كما جاء في قوله تعالى ..

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِّنْ تُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ۚ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِّتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ

٣٤ انظر : " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري " (الفصل الأول : المدخل إلى الأكوان الموازية .. وما معنا يكفي) ، لنفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة .

٣٥ تحسب هذه الآية من الإشارات العلمية في القرآن المجيد ، حيث يقول عنها (وعن الآيات ١٢ - ١٤ من سورة المؤمنون) عالم الأجنة الدكتور " كيث ل. مور : Kieth L. Moore " أستاذ ورئيس قسم التشريح بكلية الطب بجامعة تورنتو بكندا : في الوقت الذي أشار فيه القرآن الكريم إلى مراحل تطور الجنين لم يكن أحد في أوروبا يعرف شيئاً عن هذه المراحل ، واستمر هذا الوضع على هذا الحال حتى القرن العشرين ، حيث لم يصبح وصف مراحل الجنين جزءاً من علم الأجنة إلا في هذا القرن .

ثم يضيف كيث مور قائلاً : " ونظراً لكون مراحل تطور الجنين البشري معقدة ، وذلك بسبب التغير المستمر الذي يطرأ عليه في كل لحظة ، فإنه يصبح في الإمكان تبني نظام جديد في تصنيف مراحل تطور الجنين باستخدام الاصطلاحات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة . ويتميز هذا النظام الجديد بالبساطة والشمولية . هذا إلى جانب اتساعه التام مع علم الأجنة الحالي أي المعاصر " . ويصدر كيث مور الطبعة الثالثة من كتابه عن الأجنة تحت عنوان :

" تطور الإنسان : حقائق الجنين الطبية : بإضافات إسلامية : The Developing Human; Clinically Oriented Embryology, With Islamic Additions. Kieth L. Moore "

مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَكَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَلْبَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧) ﴿

(القرآن المجيد : الحج {٢٢} : ٥ - ٧)

وهي آيات تبين بوضوح تام فكر البعث بأسلوب علمي مقارن يحسب من الإشارات العلمية المعاصرة للقرآن المجيد ، كما رأينا ذلك من التذييل رقم ٣٥ . وكما سبق وأن ذكرت أن كلمة "البعث" ومشتقاتها وردت في القرآن المجيد في (٦٨) موقعا .. وسوف نقتصر على الموقع السابق فقط . أما حول تشكيل الضمير الديني والأخلاقي .. فإن المسلم يستدق معه حساب النفس على ما قدمت يداه من خير أو شر لتصل إلى متقال الذرة .. كما جاء في قوله تعالى ..

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾

(القرآن المجيد : الزلزلة {٩٩} : ٧ - ٨)

وهكذا فكر الفرد المسلم .. يعلم يقينا .. بأن .. ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ .. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .. فأنى له بالقتل — إذن — والإبادة ...!!! وهناك كتب كثيرة تعالج مشاهد القيامة والحساب والجزاء .. إلى آخره .. من خلال النصوص القرآنية ، ولكننا نكتفي بهذا القدر ، ويمكن للقارئ الرجوع إلى مصادر أخرى للاستزادة .

أما ربط البعث بالحساب والجزاء .. فيتعرض القرآن المجيد لها في أماكن كثيرة على طول القرآن المجيد .. نذكر منها فقط الآية الجامعة التالية ..

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ٣٦ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَكُنْ لَهُ جَزَاءُ مِنْهُمْ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم

^{٣٦} لاحظ أن الآيتين التاليتين : ١٣٤ ، ١٣٥ هما تعريف " للمتقين " . وسبق التعرض لتفسير هذه الآيات الكريمة في الكتاب السابق ... " الحقيقة المطلقة : الله والدين والإنسان " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب .

مُفْهِرَةً مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)
 قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا يَبَيِّنُ
 لِلنَّاسِ وَهْدَى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴿

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ١٢٣ - ١٢٨)

[قد خلت : قد مضت / سنن : طرائق الكفار]

كما يجب ذكر أن الضمير الديني والأخلاقي للفرد المسلم مقيد بقيود صارمة من مكارم الأخلاق في كل حركته في الحياة .. حتى في القتال .. فهو مقيد أيضا بمكارم الأخلاق .. بل ومثقل بهذه المعاني . فالقتال في الإسلام لم يؤذن به إلا لرد العدوان فقط ، ولم يؤمر به إلا بشروط صارمة ..

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْسَهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) ﴾

(القرآن المجيد : الحج {٢٢} : ٣٩)

أي أن مجرد الإذن بالقتال له شروطه الصارمة .. وهو للرد على من يقوم بقتال المسلمين وظلمهم فحسب .. وبأنهم ظلموا بمعرفة من يقاتلوا المسلمين ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ .. ﴾ . أي أن المسلم لا يبدأ بالقتال على الإطلاق .. ولم يؤمر به إلا لرد العدوان والدفاع عن النفس فحسب . ثم ماذا لو توقف الآخرون عن قتال المسلمين .. فهذا هو النص الإلهي ..

﴿ .. فَإِنِ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَلَئِمَّا يَتَذَكَّرُوا إِلَى اللَّهِ حَضَرَهُم مَّلَكُ يَسْمَعُ أَرْسَاهُمْ يَخِيسُ فِي كُرْسِيِّهِ نَارُ السَّعِيرِ هُنَّ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٩٠) ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ٩٠)

أي إذا لم يقاتلوك ومالوا إلى السلم ﴿ .. فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ أي ليس هناك مبرر لقتالهم أو سلطة عليهم .. تحت أي اسم أو دعوى . أما الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يبادروهم بالعدوان ، فيقول عنهم المولى ، عز وجل :

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةَ وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) ﴾

(القرآن المجيد : الممتحنة {٦٠} : ٧)

بل وأكثر من هذا :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) ﴾

(القرآن المجيد : الممتحنة {٦٠} : ٨)

[تبرؤهم : تصلوهم بالمودة / تقسطوا إليهم : تعدلوهم معهم / المقسطين : العادلين]

فاللهي (أى القطيعة) لا يحق للمسلمين فقط إلا فى حالة قتالهم ، أو إخراجهم من ديارهم . فهذا هو القتال وبعض من أحكامه فى الديانة الإسلامية .. (ولمزيد من التفاصيل حول أحكام القتال .. وانتشار الإسلام .. أنظر الملحق الرابع من هذا الكتاب)

وهكذا ننتهى مما سبق ؛ بأن الفارق .. بين الضمير الدينى والأخلاقي فى الفكر الإسلامى .. وبين الضمير الدينى والأخلاقي فى الفكر اليهودي أو الفكر المسيحي الغربى .. هو فارق أضخم من أن يحسب .. فهو أكبر من الفارق .. بين الحضارة والمدنية .. وعصور ما قبل التاريخ .. أو هو أكبر من الفارق .. بين الإنسانية .. والوحشية !!!